رسالة في تحقيق المبدأ والمعاد*

لمحمد أمين بن الصدر الشرواني

الحمد لله الذي فضّل العالِمين على العالَمين وهداهم سبيل الرشاد، وكرّمهم بسلوك سبيل النجاة في معرفة المبدأ والمعاد، ثم الصلاة والسلام الأتّمان على من رفع الحجب الرقائق عن وجه جمال الحقائق وعلى آله وصحبه ما نبت زهر في المرعى وفاح الشقائق وبعد.

فيقول الراجي عفو ربه الصمداني محمد أمين بن الصدر الشرواني الشهير بملا زاده حفظهما الله عن موجبات الندامة: هذه نبذة من الحقائق وزبدة من الدقائق تتعلق بتحقيق المبدأ والمعاد، والله الهادي إلى سبيل الرشاد.

فأقول متوكلاً على الله، ومستعينا بلطف الإله قال عز من قائل ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾ (المؤمنون ١١٥/٢٣)، وقال تعالى: ﴿**أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى**﴾ (القيامة ٧٥/٣٦). فالإنسان لم يخلق عبثا و لم يترك سدى، وهو وإن لم يكن أزليا لكنه أبديٌّ، وطنه الأصلي بساط القربة وهو في عالم الشهادة في الغربة؛ فإن حقيقة الإنسان ليس هذا الجوهر المحسوس والبدن الملموس، بل هي لطيفة ربانية نورانية روحانية سلطانية، خلقت في عالم اللاهوت في أحسن تقويم، ثم رُدت إلى الأبدان كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ**﴾ (التين ٩٥/٤،٥)، أي إلى عالم الأبدان الذي هو أسفل في نظام سلسلة الوجود؛ لأن أوّلها جوهر عقلي إبداعي، كما قال عليه السلام: (أول ما خلق الله العقل)[1]، وهو المراد من النور والقلم المذكورين في الحديث أيضا. وهناك الوجود والنور في غاية الشرف والكمال، ثم تنزل منها آخذا في النقصان إلى أن بلغ غايته وهو عالم العناصر والأبدان المسمى بعالم الملك والشهادة، وتلك اللطيفة هي المكلف والمطيع والعاصي والمثاب والمعاقب، إلا أنها لما كانت في أصل الفطرة ناقصة مستعدة لاكتساب كمالاتها اللائقة بها بواسطة القوى الجسمانية والآلات الجسدانية، أُرسلت[2] مع رأس

* النسخة المتعمدة في التحقيق، نسخة المؤلف المبيضة الموجودة بقسم أسعد أفندي في المكتبة السليمانية، برقم ٣٦١٤. اما النسخة الاخرى المسودة موجودة في قسم عمجه زاده حسين في المكتبة السليمانية برقم ٣٢١. والمُشار اليها في التحقيق بحرف (ز).

١ موضوعات ابن الجوزي (٢٧٤/١).

٢ ز: سلمت.

مال العقل للتجارة إلى عالم الغربة والأبدان لتربح بتحصيل كمالاتها، فترجع إلى الوطن الأصلي سالماً غانماً، ويتمكن في عالم اللّاهوت في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وقليل ما هم؛ فإن الأكثرين ﴿**اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾ (البقرة٢/١٦)، فالبدن للروح بمنزلة المركب والآلة، وتعلقه به بواسطة الروح الحيواني الذي هو بخار لطيف يتكون من لطيف الأغذية، ومحله القلب الصنبوري، ويفيض عليه القوى الحيوانية، فينبعث منه ويسري حاملا لتلك القوى إلى أعماق البدن بواسطة العروق الضوارب، كالشمع إذا أديرت في زوايا البيت. ثم أن تعلقه بالبدن ليس تعلقا حلوليا أو إتحاديا، بل تعلق التدبير والتصرف، كتعلق الملك بالمملكة، إلا أن هذا التعلق لما كان في هذه النشأة راسخا، ومستمرا شبهيا بالاتحاد، انصبغ الروح بصبغ المادة، وتكدر بالكدورات البشرية، وتلوث بالقاذورات الجسمانية، ومال إلى اللذات العاجلة والشهوات الفانية، كما قال تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾ (آل عمران٣/٤١) فنسي الروح وطنه، ولقاء محبوبه الحقيقي بهذا الإنهماك، كما قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا**﴾ (الجاثية٤٥/٣٤)، وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا**﴾ (طه٢٠/٤٥)، ﴿**فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ**﴾ (البقرة٢/٢١٣)، ومذكرين لهم أنهم إلينا راجعون، كما قال تعالى﴿**وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ**﴾ (ابراهيم ١٤/٥)، أي أيام وصال الله تعالى.

فافترق الناس فرقتين فرقة أجابوا داعي الله وآمنو برسوله وهم الذين لم ينطفأ نور فطرتهم التي فطر الله الناس عليها، لكنهم على طبقات متخالفات حسب تفاوت استعداداتهم.

وفرقة ختم الله على قلوبهم وغلبت عليهم شقوتهم وكانوا قوما ضآلّين، قال الله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ**﴾ (هود١١/١٠٥)، فيجب على العاقل أن يجتهد في تحصيل الكمالات السرمدية والسعادات السنية؛ لينال على الحياة الأبدية.

فنقول: السعادة العظمى والمرتبة العليا للنفس معرفة الصانع بمَ له من صفات الكمال والتتره عن النقصان، وبما يصدر عنه من اللآثار والأفعال في النشأة الأولى والآخرة، وبالجملة معرفة المبدأ والمعاد المعبر عنها بالإيمان بالله واليوم الاخر. ولهذه المعرفة طريقان: أحدهما: طريقة أهل النظر والإستدلال، وثانيهما طريقة الرياضة والمجاهدات. والفرق بينهما أن أهل الطريقة الأُولى يعلمون علم اليقين ما يشاهده أهل الطريقة الثانية بعين اليقين. وفوقها مرتبة اليقين التي هي مقام الفناء والاستهلاك حكي أنَّ الشيخ الرئيس أبا عليٍّ بن سينا لَمّا صحب مع قطب العارفين أبي سعيد أبي الخير، قُدّس سره، سُئل كل منهما عما جرى به مع الآخر، فقال الرئيس: يشاهد هذا الشيخ ما نعلمه، وقال أبو سعيد: يعلم ابن سينا ما نعاينه.

ثم إنَّ السالكين للطريقة الأُولى إن كان مستندهم في ذلك الأدلة السمعية المستندة إلى الوحي أو ما ينتهي إليها، فهم أهل الشريعة والمتكلمون، وإلا فهم الحكماء المشاؤون؛ والسالكون للطريقة الثانية إن وافقوا في رياضاتهم أحكام الشريعة، فهم أهل الطريقة والصوفيون، وإلا فهم الحكماء الإشراقيون.

وحاصل الطريقة الأُولى الاستكمال بالقوة النظرية والترقي في مراتبها المفصّلة في الحكمة الرسمية والغاية القصوى من تلك المراتب هي العقل المستفاد، وهي أن تصير النفس مشاهدة لجميع معارفها اليقينية بحيث لا يغيب عنها شيء، وذلك لا يكون إلا بعد ملاقاة النفس بالمبادئ العالية تلاقيا روحانيا واتصالها بالملأ الأعلى اتصالا عقليا، فلا يوجد هذه المرتبة لأحد في هذه الدار، بل في دار القرار، اللهمّ إلا للمتجردين عن جلابيب الأبدان المنخرطين في سلك المجردات؛ إذ قد يوجد لهم في هذه الدار لمعات من ذلك، كبروق خاطفة.

وحاصل الطريقة الثانية الاستكمال بالقوة العملية والترقي في الدرجات الأربع التي أولها: تهذيب الظاهر باستعمال الشرائع النبوية والنواميس الإلهية، وثانيها: تهذيب الباطن عن الملكات الردية، كالبخل والحسد والعجب والكبر والرياء ونقص آثار شواغله عن عالم الغيب، وتسمى هذه المرتبة بالتخلية وثالثها ما يحصل لها بعد الاتصال بعالم الغيب وهي تحلي النفس بالصور القدسية والملكات السنية، ورابعها: ما يحصل لها عقيب اكتساب ملكة الاتصال والانفصال عن نفسه بالكلية، وهو ملاحظة جمال الله تعالى وجلاله، وقصر النظر على كماله، ومادام السالك[٣] لم يقطع هذه المراتب فهو سائر إلى الله، فإذا انتهى إلى المرتبة الرابعة فقد انتهى سيره إلى الله. ويليها درجات السير في الله ومراتبه، فانتهاء السير إلى الله بمنزلة الوصول إلى ساحل البحر، والسير في الله بمنزلة الخوض في لُجَّةِ البحر، فالعارف الواصل إلى بحر الحقيقة، إذا خاض لُجَّةَ بحر الوصول لا يزال ينخلع عن القيود البشرية، ويرتفع عنه الغواشي والحجب الجسمانية إلى أن يخرج عنها بالكلية، ويتخلق بأخلاق الله تعالى؛ فإذاً يرى كل قدرة مستغرقة في قدرته المتعلقة بجميع المقدورات، وكل علم مسغترق في علمه الذي لا يعزب عنه شيء من الموجودات، وكل إرادة مستغرقة في إرادته التي يمتنع أن يتأتى عليها شيء من الممكنات، بل كل وجود وكل كمال وجود فهو صادر عنه وفائض من لدنه، فصار الحق حينئذ بصره الذي يبصر به، وسمعه الذي به يسمع، وقدرته التي بها يفعل، وعلمه الذي به يعلم، ووجوده الذي به يوجد، فهذه مرتبة توحيد الصفات.

ثم بعد ذلك يعاين العارف أنَّ تَكثُّر هذه الصفات وما يجري مجراها إنَّما هو بالقياس إلى الكثرة التي هي اعتبارات وشؤنات للذات الأحدية، وأما بالقياس إلى مبدأها الواحد فمتحدة؛ فإنَّ علمه الذاتي هو بعينه قدرته الذاتية، وهي بعينها إرادته، وكذلك سائرها؛ وإذ لا وجود ذاتيا لغيره، فلا صفات مغايرة للذات، ولا ذات موضوعة للصفات، ﴿**قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ**﴾ (الإخلاص١١٢/١)، ﴿**قُل اللّٰهُ ثُمَّ ذَرهُم**﴾ (الأنعام ٦/٩١)، وهذه مرتبة توحيد الذات، فليس هناك واصف، ولا موصوف، ولا سالك، ولا مسلوك، ولا عارف، ولا معروف، وهذا هو الفناء في التوحيد ومرتبة حق اليقين.

ثم النعوت الإلهية والأخلاق الربانية غير متناهية، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾ (الكهف١٨/١٠٩)، فلا ينتهي السير في الله

٣ ز: عارف.

لا بفناء السائر في بحر التوحيد. قال صاحب الفتوحات المكية[٤]: بعدما انتهى أمر العارف إلى أن رآه في كل شيء وظهر له نسمات مهبّ من بي يسمع وبي يبصر، أراد العارف أن يلقي عصا السفار ويزيل عنه اسم المسافر، وعرف أنَّ الأمر لا نهاية له، وأنَّه لا يزال مسافرا. انتهى. فسافروا تصحبوا وتغنموا، فربح النفس في هذه التجارة وهو تحصيل كمالاتها العلمية والعملية ليستعد بذلك بقرب جوار الملأ الأعلى، وخسرانها فقدُ ملك الكمالات والتدنس بالاعتقادات والملكات الردية والأعمال القبيحة، فكما تلتذ النفس بعد مفارقة الأبدان بمطالعة تلك الكمالات فيها يحصل لها من القرب بسببها، والتمكن في مقعد صدق عند ملك مقتدر، كذلك يتألم بأضدادها وما يحصل لها من البعد والاحتراق ب﴿ **نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ**﴾ (الهمزة١١٤/٦،٧)، وهذا هو المراد باللّذات والآلام العقليتين.

إذا تقررت هذه المقدمات، فأعلم أنَّ المعاد، منه ما هو روحاني هو بقاء النفس بعد خراب البدن متلذذة، أو متألمة بلذات وآلام عقليتين، وأثبته الحكماء والصوفية ومحققوا المتكلمين. وقد ورد إليه الإشارة في كلام رب العزة، قال الله تعالى:﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ**﴾ (يونس١٠/٢٦)، وقال: ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ**﴾ (البقرة٢/١٥٤)، فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرة أعين، وقال:﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾ (الفجر: ٣٠)، وقال:{**وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ (التوبة ٩/٧٢).

ومنه ما هو جسماني، ورد به الشرع وأجمع عليه أهل الملل الثلاث، وشهد به نصوص القرآن في مواضع متعددة، بحيث لا يقبل التأويل، وحقيقته إعادة الروح في عالم المثال إلى البدن المثالي الذي هو بعينه هذا البدن في عالم الاسم والماهية، لكن بنشأة أُخرى ملكوتية مغايرة للنشأة الأُولى، قال تعالى: ﴿**وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذكَّرُونَ**﴾ (الوقعة٦٥/٦٠،٦١،٦٢،٦٣).

ثم إنَّ الجنة والنار كل منهما صور الأعمال والأخلاق والاعتقادات؛ إذ ما من عمل من الأعمال صالحات وسيئات إلا ويتمثل في الآخرة بصور متناسبة جسمانية، وإن كانت أعراضا ومعاني في الدنيا؛ فإنَّ الوحدة الحقيقية محفوظة في الموطنين، والجوهرية والعرضية من أحكام النشأة وآثار الموطن، فالجنة وما فيها من الأشجار والأنهار والثمرات وغيرها من الحور والقصور والغلمان والولدان، هي أعمالهم وأخلاقهم ومقاماتهم وأحوالهم مثّلت وصوّرت في أمثلة متلائمة وصور مناسبة، ولهذا يقال لهم: انما هي أعمالكم ردّت اليكم، فيقولون: نعم: ﴿**هذه بضاعتنا ردّت الينا**﴾ (يوسف١٢/٦٥) قال عليه السلام: (إنَّ الجنَّةَ قاعٌ ليس فيها عمارة فأكثروا من غراس الجنَّة في الدنيا، فقيل يا رسول الله: ما غراس الجنَّةِ! قال عليه السلام: التسبيح

٤ فلينظر ''فلما رآه في كل شيء أراد أن يلقي عصا التسيار ويزيل عنه اسم المسافر فعرفه ربه أن الأمر لا نهاية له لا دنيا ولا آخرة، وأنك لا تزال مسافرا، كما أنت على ذلك لا يستقر بك قرار'' [الفتوحات:٢/١١].

والتهليل)[٥] وكذا جهنَّم، وما فيها من دركات النيران وأنواع الآلام وعذاب القبر، وما يشاهد فيها من الحيّات والعقارب ليس إلا صور الاعتقادات الباطلة ونتائج الأعمال السيئة وثمرات الأخلاق الردية، كانت في الدنيا معاني فصارت في الآخرة صوراً، فهم دائمون فيها عقبى ودنيا، ﴿**وَإِنّ جَهَنّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ**﴾ (التوبة ٤٩/٩)، إلا أنَّهم لا يتألمون بها لكثافتهم وغلظ حجابهم وفرط غفلتهم؛ (فإنَّ النّاسَ نيامٌ فإذا ماتوا انتبهوا)[٦]، وقالوا: ﴿**رَبّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنّا مُوقِنُونَ**﴾ (السجدة ١٢/٣٢). ألا يُرى أنَّ من انفتح عين بصيرته وصار في الدنيا من أهل الآخرة بالموت الاختياري يروهم داخلين في النار، وما فيها من أنواع العذاب متمثلين بصور مناسبة؛ لما غلب عليهم من الصفات الذميمة، (فاتَّقوا فَراسةَ المُؤمن فإنَّهُ يَنظُرُ بنُورِ الله)[٧]، قال عز من قائل: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**﴾ (النساء٤/١٠)، وقال عليه السلام: (الذين يشربون من آنية الذهب والفضة إنَّما يجرجر في بطونهم نارا)[٨]، وقال عليه السلام: (الجنَّة حُفّت بالمكاره والنار حفّت بالشهوات)[٩].

وكذا الصراط هو صورة الاعتقاد والعمل؛ فإنَّ لكل من القوة العقلية والعملية طرف إفراطٍ، وطرف تفريط، ووسطاً حقيقيا هو الاعتدال، والأطراف رذائل، والأوساط فضائل، وإنَّ الأطراف لها عرض عريض لا يكاد يقف عند حدّ، والوسط الحقيقي سواء في الاعتقاد والعمل واحد ليس إلا بل لا يتصور فيه التعدد، قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (الأنعام ١٥٣/٥). واستوضح ذلك من الخطوط الواصلة بين كل نقطتين؛ فإنَّها وإن كانت غير متناهية لكن المستقيم منها ليس إلا واحدا، كما لا يخفى ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ**﴾ (يونس١٠/٣٢).

فالصراط المستقيم هو صورة هذا الوسط من الاعتقادات والأعمال، ولكونه مغمورا فما بين الأطراف الكثيرة المتشابهة صار الثبات عليه أشقُّ وصار أدقّ من الشعر وأحدَّ من السيف؛ ولذا قال عليه السلام: (شيَبَتني هود)[١٠] إذ قد أُمر عليه السلام فيها بالاستقامة بقوله تعالى: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾ (هود١١/١١٢)، أي في قوله تعالى: ﴿**قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ**﴾ (الأعراف٧/٢٩).

ومن تأمل في عجائب ملكه وملكوته وغرائب صنعه وجبروته، لم يستنكف عن قبول أمثال هذا؛ فإنَّ كل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت والمثال؛ فإنَّ للنفس نشآت شتى، وهي في كل نشأة تختص بآثار وأحكام، بل جميع الممكنات لها عوالم مختلفة، كالوجود العلمي الإجمالي المسمى بالتعين الأول، والتفصيلي

٥ رواه ابن حبان في صحيحه (٨٢١).

٦ من كلام علي بن أبي طالب «تخريج الاحياء» للعراقي (٢٨/٤).

٧ رواه الترمذي في سننه (٣١٢٧).

٨ رواه مسلم في صحيحه (٢٠٦٥).

٩ أخرجه الترمذي قي سننه (٢٥٥٩).

١٠ رواه الترمذي في سننه (٣٢٩٧).

المسمى بالتعين الثاني، ثم الروحي، ثم المثالي ثم الحسي العنصري، وهي وإن كانت حادثة في الوجود العيني الحسي، إلا أنَّها قديمة باعتبار وجوداها العلمية[11] الأولية، ليس جعلا لجاعل نفوذ فيها باعتبار هذا الوجود.

ثم النفس تشاهد في كل نشأة صورة تقتضيها تلك النشأة، فكما أنَّها تشاهد في المنام صورا، لا تشاهدها في اليقظة كذلك تشاهد عند الانخلاع عن البدن الحسي والانتقال إلى البدن المثالي في عالم المثال أُموراً لم يمكن مشاهدها في الحياة؛ فإنَّ أصحاب المكاشفات وأرباب المشاهدات من الحكماء المتألهين والصوفية قالوا: بين عالم المجردات الروحية اللطيفة المسمى بعالم الملكوت وبين عالم الموجودات العينية الكثيفة المكتنفة بالقيود والعوارض المسمى بعالم الملك برزخ يسمى بعالم المثال، ﴿**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ**﴾ (الرحمن٥٥/١٩،٢٠)، وفيه موجودات مشخصة مطابقة لما في الخارج من الجزئيات مثال لها قائمة بنفسها مناسبة لما في العالمين المذكورين، أما لعالم الملك؛ فلأنها صور جسمانية شبحية مقيدة بقيود شبحية، وأمَّا لعالم الملكوت؛ فلأنها معلقة غير متعلقة بمكان وجهة، كالمجردات، حتى أنَّهُ يرى صورة مثالية لشخص واحد في مرايا متعددة، بل في مواضع وأمكنة متكثرة، كما يحضر ملك واحد في ألف مكان، كقابض الأرواح ونافخها، ومن هذا القبيل حضور بعض الأولياء في زمان واحد في أماكن متعددة شرقية وغربية، ففي عالم المثال يتروح الأجساد ويتجسد الأرواح، وإلى هذا العالم أشار سيدنا صلى الله تعالى عليه وسلم بأن لكل شيء ملكا، حتى قال عليه السلام: (بأنَّ لكل قطرة ملكا ينزل معها)[12].

ثم إنَّها لتلك الصور المثالية مجالي مختلفة مثل المرآة والمتخيلة والحس المشترك وسائر القوى الباطنية التي لها أيضا نسبة إلى العالمين، إذا انقطعت عن الاشتغال بالامور الخارجة العائقة؛ إذ يحصل لها بذلك زيادة مناسبة إلى ذلك العالم، كما للمتجردين عن العلائق البشرية والكدورات الجسمانية، كالأنبياء والأولياء والنائمين والمرضى، بل يظهر للأنبياء والأولياء في القوى الظاهرة أيضا حتى حصلت لها تلك المناسبة بسبب الانقطاع عن الشواغل، أمَا ترى أنَّ النّبي عليه السلام كان يشاهد جبرائيل حين ينزل بالوحي والصحابة حوله كانوا لا يشاهدونه؟ ثُمَّ إنَّ عالم الشهادة بالنسبة إلى عالم المثال كحلقة في بيداء على ما ورد في الحديث، فما ظنك بعالم يسع الجنة التي عرضها السماوات والارض!.

وبإثبات هذا العالم ينكشف لك كثير من الشهادات والأُمور المستغربة البعيدة من العقول المقيدة بمقتضيات الحواس المشغولة بمستلذات القوى عن الارتقاء إلى هذا العالم فضلا عما فوقه؛ وبه ينحل أيضا كثير من مشكلات البرزخ والمحشر، كظهور الأخلاق والسجايا في القبر بالصور الحسنة، أو صور الحيات والنيران والعقارب؛ وكوزن الأعمال من غير حاجة إلى تأويله بوزن الصحائف؛ وكخلق النار والجنة التي عرضها،

١١ ز: عملي.

١٢ رواه الطبري في تاريخه (٦٥/١).

كعرض مجموع السماوات والأرض؛ وكقصة معراج الرسول عليه السلام، فإنه كان بالبدن المثالي، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: (ما فقدت جسد محمد)[١٣]؛ وبهذا ينحل أيضا الشبهة المشهورة وهي: أنَّهُ لو صار مؤمن غذاء لكافر وجزء من بدنه فإعادتها غير متصورة، ولو وقعت يلزم تعذيب الأجزاء المطيعة، والقول بأنَّ المحشور هو الأجزاء الأصلية، ولعل الله يحفظه من أن يصير جزء أصليا لا يجدي نفعا؛ إذ الشريعة المحمدية قاضية بحشر الأجزاء الفضلية؛ لإنَّه أَمَرَ عليه السلام باجتناب الجنب عن قلم الظفر وإزالة الشعر قبل الإغتسال، بل الأكفان أيضا محشورة حتى أمر عليه السلام بتجديد الأكفان، ووجه الانحلال أنَّ الإنسان كان أولاً على نشأة روحانية، كما ورد في الحديث: (خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفَي عام)[١٤]، ثم حصل له في الدنيا نشأة عنصرية، وهي جامعة لجسمانية لطيفة وجرمانية كثيفة؛ لأنَّ هذا العنصر له صفوة وكدر، فما كان من صفوته فهو جسم ومثال وملكوت، وما كان من كدره فهو جرم، والجرم كثيف ظاهر وأثر، والجسم لطيف باطن مدثور، نسبته إلى الجرم نسبة اللبّ إلى القشر، ولذا خوطب النبي عليه السلام في أول الأمر ب﴿**يا أيُّها المُدَّثر**﴾ (المدّثر٧٤/١).

ثم النفس تحشر في ذلك العالم في بدن جسماني وهو نشأة جامعة للروحانية والعنصرية، ومن أحكام هذه النشأة وخواصها جواز الكون في مكانين في آن، فالمحشور والمعاد هو جسمانية لجميع الأجزاء الأصلية والفضلية في الآكل والمآكول جميعا، ولعل مراد القوم بالأجزاء الأصلية هو هذا الملكوت المعاد، لا ما يقابل الفضلية، ثم إنَّ البدن المثالي الجسماني يتغذى وينمو ويعود رطبا طريا بالإيمان والعمل الصالح ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾ (فاطر٣٥/١٠)، وكلما قوي الجسماني ضعف الجرماني ويتدرج في الرقة حتى يصير كقشر. نقل عن بايزيد البسطامي، قدس سره، (انسلخت عن جلدي كما انسلخت الحيَّةُ)، وكلما رقَّ الجرماني و ضعف يظهر فيه نور[١٥] الجسماني المثالي الباطن ويتلألأ مشرقا فيه، قال تعالى: ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾ (الفتح٤٨/٢٩)، وقال عليه السلام: (من كثُر صلاتُهُ بِالليل حَسُنَ وجهُهُ بالنهار).[١٦]

وأعلى مراتب هذه التصفية، وهو غلبة الجسماني على الجرماني قد حاصلاً لنبينا صلى الله عليه وسلم حتى كان عديم الظل. فالمؤمن لكون جسمانيته القريبة من الروحاني قويّاً ورطباً ببركة الإيمان والعمل الصالح صار قابلاً ومستعداً لأيّ تصرف كان، كقضيب رطب يميل تارةً ويستقيم أُخرى ولا ينكسر عند هبوب الرياح، ولهذا تعلق أرواح المؤمنين بأبدانهم في النشأة الجامعة للتجرد والتعلق على سبيل الطوع والاختيار.

١٣ «الأجوبة المستوعبة» لإبن عبد البر (١٣٥).

١٤ أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (١٩٠/٢).

١٥ ز – نور.

١٦ أخرجه ابن الجوزي في موضوعاته (٤١٢/٢)

وأما الكفار والعصاة فقد قويت جرمانيتهم وغلظت وكثفت حتى كاد يذوب جسمانيتهم وينعدم ملكوتهم؛ فإنَّ أهل الشقاوة ينفصل منهم ما قد كان فيهم من أرواح القوى الإنسانية والصفات الروحانية، ويتوفر في نشأتهم صور الأحوال المزاجية المادية الحاصلة في تصوراتهم وأذهانهم، والأخلاق الردية التي تترتب عليها أفعالهم في الدنيا وأقوالهم، وينظم إلى ملكوتهم ومثالهم، وكذا ما تحلّ من أجزائهم البدنية يعاد إليهم ويجمع لديهم بصورة ما فارقتهم. ولذا ورد أنَّ ضرسَ الكافر مثل أُحد، وجلده أربعون ذراعاً بذراع الجبار، فأرواحهم ليُبسها وشدتها، كما قال تعالى: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾ (البقرة٢/٧٤)، لا تقبل التصرف إلا بعنف، ولا تتعلق في الآخرة بأبدانهم إلا بكره، ﴿**وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾ (آل عمران ٣/٨٣)، فمثلهم كمثل نبت يابس ينكسر ويتأبى عن تقلبه كيف يراد ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ**﴾ (القلم٦٨/٤٠).

فالمؤمن في النشأة الروحانية السابقة كانت خالية عن المعاني الجسمانية والخواص الروحانية وساذجة عن جميع كمالاتها الممكنة، فإذا قارن روحه الجسد في النشأة الدنياوية حصل له ذوق المعاني، والخواص، إذا فارقها أيّام البرزخ يحصل له ذوق المعاني الخاصة به الحاصلة له أيّام المقارنة. ثم إذا اتّصل به في النشأة الجامعة اتصالا اختياريا ببركة الإيمان والعمل الصالح، فإنَّ بكمال الطرفين الحياة والممات فكأنَّهُ لجمعه بين التجرد والتعلق حي دائما ميت دائما. فنعيم جنَّةِ الأعمال، أعني: الحور والغلمان وأنواع الأطعمة والأشربَة وسائر اللذات الجسمانية من حظوظ الحياة، ونعيم جنَّةِ الإيمان، أعني: اللقاء وسائر ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب أحدٍ ممَّا، ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾ (السجدة٣٢/١٨)، لمشاهدة أنوار الحق والانغماس في بحر النور من حظوظ الموت، قال عليه السلام: (لا يَلقَى أحَدُكُم ربَّهُ حتَّى يَمُوت)[١٧].

وأمَّا الكافر فلعدم قبوله هذه التصرفات بطوع واختيار لقساوة قلبه ويبسه، فهو محروم عن خير الطرفين، قال تعالى: ﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾ (المطففين٣٣/١٥)، وقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا على الْكَافِرِينَ**﴾ (الأعراف٧/٥٠)، وقال: ﴿**قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ**﴾ (الحديد٥٧/١٣). فالكافر ليس له نعيم الجنَّةِ؛ لعدم حياته، ولا نعيم اللقاء؛ لعدم موته، قال الله تعالى: ﴿**فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ**﴾ (طه٢٠/٧٤)، وهذا هو الخسران المبين.

ثم إنه ربما يقرع سمعك لفظ المثل، ولا يغرك تشابه لفظ الْمُثُل والمثال، فتزعم أنَّهُما واحدٌ كلا؛ فإنَّ المثال ما سمعت، وأمَّا المُثُل فأعلم أنَّ أفلاطون الإلهي وحكماء الفرس وغيرهم من المتألهين والصوفية ذهبوا إلى أنَّ لكل نوع من الأنواع الموجودة في عالم الملك علوياً كان أو سفلياً بسيطاً أو مركباً، ربّاً في عالم النور، هو ذات مجردة نورية غير مقيدةٌ بقيودٍ عارضةٌ لذلك النوع قديمةٌ قائمةٌ بنفسها مدبرة لذلك النوع، ذو عناية به، وهو

١٧ رواه مسلم (٢٢٤٥).

الغاذي و الْمُنمي والمولد وغير ذلك، حتى قالوا: إنَّ الألوان الكثيرة العجيبة في رياش الطواويس فاعلها ربُّ نوعها، وكذا جميع الهيئات إظلالُ الإشراقات نورية ونسب معنوية في تلك الأرباب النورية، حتى أنَّ رائحة المسك ظل لهيئة في ربِّ نوعه؛ فإنَّ الأرباب يفيض عليها من مبادئها أنوار أُخر عارضة، ويلزمها نسب معنوية مختلفة، فيظهر صورها في أصنافها الجسمانية، وإلى تلك الأرباب أشار سيدنا كاشف الحقائق عليه أفضل الصلوات بقوله: (أتاني مَلكُ الجِبَالِ ومَلَكُ البِحَارِ)[18]. ويسمى تلك الأرباب مُثُلاً؛ لِكون الرَبِّ مثال لمربوبه في العالم العقلي، والمربوب مثالا لرَبِّهِ في العالم العيني، فدام أحدهما بدوام الآخر وانتفى بانتفائه، وهذا ما قاله الصوفية من أنَّ للحقِّ أسماءً يقتضي كل واحد منها مظهراً ومرتبةً كليّةً من العالم، فيتجلى فيه ويظهر آثاره عنه، ويسمى ذلك الاسم بالنسبة إلى هذا النوع ربّاً. والواجب المطلق ربُّ الأرباب، ولما كان مرتبة الأسماء الإلهية دون مرتبة الذات؛ لكونها مقام التفرقة والكثرة، قال الله تعالى: ﴿**أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾ (يوسف١٢/٣٩). ولنقتصر على هذا القدر في هذا الباب لأنَّه طورٌ وراءَ طورِ العقل، والعقول قاصرة، والعزائم متقاعدة، امتلأت القلوب من الرسوم والعادات، حتى كاد الإنسان يلتحق بالحيوانات.

فلنورد فصلا في عجائب القلب.

إعلم أن ههنا ألفاظا تمس الحاجة إلى معرفة معانيها، وهي أربعة: القلب والروح والنفس والعقل.

أمَّا القلب فهو يطلق على معنيين: أحدهما: اللحم الصنوبري الذي في تجويفه دم أسود، والثاني: لطيفة ربانية روحانية لها تعلق بالقلب الجسماني، هي المدرك من الإنسان والمكلف والمخاطب، وبها يتميز الإنسان عن سائر الحيوانات، بل هي حقيقة الإنسان المخلوقة في أحسن تقويم.

وأمَّا الروح فهو يطلق تارةً على هذه اللطيفة، وتارةً على البخار الذي ينبعث من ذلك الدم الأسود، وينتشر بواسطة العروق إلى جميع أجزاءِ البدن، وفيضان نور الحياة والحس والحركة والسمع والبصر واللمس والشم منه يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت وقد أشرنا إليه سالفا، والروح بهذا المعنى يسمى حيوانيا.

وأمَّا النَّفس فهو أيضا يطلق على أمرين: أحدهما: المعنى الجامع للصفات الذميمة، كما قال عليه السلام: (أعدَى عَدُوّكَ نفسُكَ التي بين جنبيك)[19]، وثانيهما: اللطيفة المذكورة إلا أنَّ لها أحوالاً مختلفة وأوصافا متفاوتةً يسمى بكل اعتبار باسم؛ فإنَّ النَّفس إذا سكنت تحت الأوامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت مطمئنة، وإذا لم يتم سكونها وصارت موافقة للقوة الشهوانية تارةً ومعرضةً عليها أُخرى سميت لوامة؛ لأنها تلوم صاحبها عند التقصير في العبادة، وإن تركت الاعتراض وأطاعت بمقتضى الشهوات سميت أمّارة، وقد تُسمى بأسماء أخر مثل الْمُلهمَةِ وغيرها باعتباراتٍ شتى، فالمسمى واحد ليس إلا.

١٨ رواه مسلم (١٧٩٥).

١٩ أخرجه الطبراني في الكبير (٣٤٤٥).

وأما العقل فيطلق تارةً على العلوم المدركة باللطيفة المذكورة، وتارةً على نفس تلك اللطيفة.

ثم إنَّ لِلقلب جنوداً، وبيانه: أنَّه لَمَّا كان اكتساب الكمالات الإنسانية موقوفا على البدن، فلابُدَّ من حفظه بجلب ما يوافقه ودفع ما ينافره، فأنعم الله عليه لجلب الموافق بجندين باطن وهو الشهوة، وظاهر وهو الآلهما، ولما توقفت الشهوة للشيء والنَّفرة عنه على معرفته، أنعم عليه في المعرفة بجندين باطنين: أحدهما: الإدراكات الخمس ومنازلها الحواس الخمس، وثانيهما: القوى الخمس ومنازلها تجاويف الدماغ وبطونها، فاإذا عَلِم الموافق اشتهاه، وإذا عَلِم المنافر نَفَر عنه وانبعث نحو دفعه، والباعث يسمى إرادة، والمحرك للأعضاء قدرةً. فجميع جنود القلب بكثرتها يرجع إلى القدرة والإرادة والقوى الدرّاكةِ الظاهرةِ والباطنة، فلمَّا اصطُحِبَ في الإنسان هذه الجنود اجتمعت فيه أربعة أوصاف سَبُعية تحمله على العداوة، وبَهِيمِيَّةٍ تحمله على الشره والحرص، ورَبَّانية تحمله على الاستبداد والانسلاخ[20] عن القيود السفلانية والإطلاق عن ربقَةِ العبودية، وشيطانية تحمله على المكر والخداع.

فالسعيد من سخرت نفسه للصفة الربانية، فجعل الله تعالى مقصده، والدار الآخرة مستقره، والدنيا مترله، والبدن مركبه، واللسان ترجمانه، والأعضاء كتابه وخدمه، والحواس جواسيسه تؤدي ما تطلع عليه من المحسوسات إلى الخازن، ثم تعرض الخازن على الملك أعني: حقيقة الإنسان، فيقتبس منه ما يحتاج في تدبير مملكته، ونيل السعادة في آخرته.

ثُمَّ إنَّ لِلقلب أعمالاً أربعة قبل عمل الجوارح: الأول الخواطر، والثاني تحرك الرغبة بما خطر بحكم الطبع، ويسمى ميل الطبع، وهذان لا يؤاخذ العبد بهما؛ إذ ليسا[21] باختياره، وهذا هو المراد بقوله عليه السلام: (إنَّ اللهَ تجاوزَ عن أُمَّتِي ما وسوَسَت به صدرَهَا ما لم تَعمل به او تتكلم)[22]، والثالث حكم النفس بأنَّ هذا مع قبحه ينبغي أن يُفعل، وهذا أيضا لا يؤاخذ به وإن كان اختياريا إذ لا عزم، والرابع يقيم[23] العزم على الفعل وإن لم يفعل لمانع، وهذا يؤاخذ به العبد، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿**وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ**﴾ (البقرة٢/٢٨٤).

ومِمَّا ينبغي أن يُعلم الخاطر نوعان: أحدهما ما يدعوا إلى الخير، وسببه الْمُلقى له في القلب يسمى ملكا، فإن عُرِفَ السبب سُمِّي ذلك الخاطر وحياً، وإن لم يُعرف السبب سُمي الخاطر إلهاماً ونَفثا في الروع، وعلما لدنيا. وثانيهما: خاطر يدعوا إلى الشر، ويُسمى وِسواسا، وسببه الْمُلقى له يسمى شيطانا، وقد يلقي الشيطان له خيرا، ويدعوا إليه ليفوت منه ما هو أفضل منه، فقلب المؤمن دائما بين الْمَلك والشيطان، وهو المراد بالأصبعين في قوله عليه السلام: (قَلبُ الْمُؤمِنِ بَين أصبَعَينِ مِن أصابِعِ الرَّحمن يُقلِّبُهُما كيف يَشَاءُ).[24]

٢٠ ز: انسلال.

٢١ ز: لأنهما.

٢٢ رواه البخاري (٦٦٦٤) ومسلم (١٢٧)

٢٣ ز: تصميم.

٢٤ رواه الترمذي في سننه (٢١٤٠).

ومن الخاطر ما يقع في القلب بمباشرةِ أسباب من العبد وهي إمَّا النَّظَرُ والاستدلال، كما في طريقة الاستدلاليين، وإما تهذيب الباطن وتصفيته وهي طريقة الصوفيين؛ فإنَّ القلب مُستعد لأن يَتَجَلى فيه حقائق الأشياء عند مقابلة مرآته بمرآة اللوح المحفوظ وخلوه عن الحجب، فإذا ارتَفَع الحجب، والموانع وتطهر القلب عن لوث الأخلاق الذميمة ودَنَسِ الملكات الردية وانفتحت أبواب القلب نحو ملكوت السماوات والأرض واتَّصل بالملأ الأعلى والمبادئ العالية، انعكس إليه ما فيها من صور الحقائق والعلوم والمعارف، فصار عالَما عقلياً مضاهياً للعالم الحسي، قال تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ**﴾ (فصلت٤١/٥٣)، وهذا هو المراد بليلة القدر، ينكشف للنفس فيها أحوال الملك والملكوت، كما قال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ (الأنعام٤/٧٥). ولَمَّا كان أكثر ما يَتَجلى مرآة القلب في شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن بواسطة الصوم الذي هو تضييق مجاري الشيطان في بدن الإنسان، صار مصادفة ليلة القدر في رمضان أكثَر، ألا يُرى أنَّ من جُعل له هذهِ الْمَرتَبة في غير رمضان أيضا فقد صادف ليلة القدر، فَمِلاك الأمر هو رفع موانع القلب وتصفية مرآته وتصقيله، وتلك الموانع خمسة: أحدها نقصان في الذات وأصل الفطرة، كقلب الصبي والمجانين، والثاني: كدروة المعاصي وخبث الشهوات، قال تعالى: ﴿**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ (المطففين٨٣/١٤)، والثالث: العدول عن الجهة، وهو الاشتغال بالأُمور الدنيوية، والرابع: الاعتقادات الباطلة والجهليات المركبة والظنون الفاسدة المركوزة في الطبع، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ**﴾ (يونس١٠/٦٦)، الخامس: الجهل بطريق العثور على المطلوب، كما في زهاد الكفرة والرهابين، قال تعالى: ﴿**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ**﴾ (الحديد٥٧/٢٧).

فإذا ارتفع هذه الموانع صار القلب كمرآة مجلوة حوذي بها ما يقابلها من الصور العلمية والحقائق المتأدية، إمَّا من الخارج وطرق الحواس الظاهرة التي هي كالأنهار الخمسة بالنسبة إلى خواص القلب، وإمَّا من الباطن والأبواب المفتوحة نحو الملأ الأعلى، إلا أنَّ الْمُنصبَّ من الأنهار الخارجية لا يخلو عن كدر الأوهام والظنون بخلاف ما إذا سُدَّت طرق الخارج وحوذي بالقلب إلى الملكوت الأعلى؛ فإنَّه يظهر فيه ينابيع الحكمة، فهي ﴿**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا**﴾ (الإنسان٧٦/٦)، ويسمى هذه العلوم علوم المكاشفة.

ثُمَّ إنَّ القلوب والمرايا متفاوتة، فأصل الفطرة والاستعداد، كما قال عليه السلام: (النَّاسُ معادنٌ كمَعَادِنِ الذهب والفضَّةِ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ لَهُ)،[٢٥] فالوجود وما يتبعه من الكمالات عملاً وعلماً إنَّما يفيض عليها على حسب ما يسعه ويقبله، وهذا هو السر في مراتب تفاوت الأنبياء والأولياء وسائر طبقات الناس، وتباين مشاربهم ونشأتهم. وفي الحقيقة مَرجع هذا التفاوت هو الاسم الذي هو رَبُّ نَوعه. ولَمَّا كانت الحقيقة المحمدية والنشأة الْمُصطَفَوِيَّةِ تحت مرتبة اسم الذات المستجمع بجميع الأسماء الإلهية والحقائق الكونية، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾ (الفتح٤٨/١٠)، صار نَبِيُّنا

٢٥ رواه البخاري (٣٤٩٤) و مسلم (٢٦٣٨).

عليه أفضل الصلوات أفضلَ الموجودات أكرمَ المكونات، بل أُقنوم النبوة مُنحَصِرٌ فيه، والأنبياء كانوا نوّابَ نشأته الروحانية، كما أنَّ العلماء نوَّابُ نشأته العنصرية، ولذا قال عليه السلام: (عُلَمَاءُ أُمَّتِي كأنبيَاءِ بَنِي إسرَائِيلِ)،[٢٦] فالأنبياء كلهم مُعترفون بفضله، ومُغترفون من بحر كرمه، وفضله وواقفون لديهم عند حدّهم من نقطة العلم أو من شكله الحكم:

فإنه شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنّاسِ فِي الظلَمِ

وقال عليه السلام: (تَمَنَّى اثنَا عَشَر نَبِيَّاً من بَنِي إسرائيل مِنهُم مُوسى وعِيسى أن يَكونوا مِن أُمَّتِي).[٢٧]

الحمد لله الذي جعلنا من أمَّتِهِ ورزقنا اتِّباع دينه وملته.

تَمَّ على يدِ مُؤَلِّفِه الجَانِي مُحَمَّد أمين بن الصَّدرِ الشرواني بِمَحرُوسَةِ آمِد حُفظت مِن شَرِّ كُلِّ حاسِد يومَ الثالث والعشرين من شهر صفر المظفر سنة عشرين وألف من الهجرة النبوية عليه أفضل التحية حامداً ومصلياً على نَبِيِّه وآله وصحبه أجمعين.

٢٦ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٤٦٦).

٢٧ لم نجده فيما لدينا من المراجع.